الكيان يستغلّ «الطوفان» لتحقيق أهدافه في الضفة الغربية

عبير بسام
كاتبة وصحفية

تخطت الحرب على غزّة المئتي يوم، ولكن لا يمكننا القول إن هناك تغييرًا كبيرًا في ما يتعلق بأهداف العدوّ الصهيوني وعملياته، وهي تعتمد على الدمار والقصف وارتكاب المجازر ومحاولات التقدم؛ ثمّ التقهقر والانسحاب. وما يرتكبه الصهيوني له هدف وحيد هو إثارة الرعب والخوف بين الفلسطينيين. سيناريو التهجير ليس جديدًا بحد ذاته، ولكن خلال الحرب على غزّة، شدّد الكيان من إحكام طوقه على الضفّة بطريقة ممنهجة، يمكن قراءتها من خلال أسلوب عمله والانتشار الواسع لجيش العدو، والأهم، الاستهداف المتنقل اليومي للمخيمات. وكأن هذا التصعيد يهدف إلى تهجير الفلسطينيين عبر خلق ظروف الرعب التي سادت في نكبة العام ١٩٤٨. فمنذ السابع من تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢٣ حتى السابع والعشرين من آذار / مارس ٢٠٢٤، وصل عدد الشهداء في الضفّة الغربية إلى ٤٥٣ شهيدًا و٤٧٥٠ جريحًا. وأشار نادي الأسير الفلسطيني إلى أن عدد الفلسطينيين المعتقلين ارتفع إلى أكثر من ٧٨٢٠ معتقلًا.

يشكّل المكوّن الشعبي لسكان المخيمات خطرًا داهمًا على الكيان الذي يسعى جاهدًا لتفريغ الضفّة، حتّى قبل عملية "طوفان الأقصى". ففي قراءة بسيطة؛ يمكننا معرفة أن مخيم شعفاط، والذي يقع في القدس المحتلة، سكانه نازحون من اللد والرملة ويافا والقدس والقرى المحيطة بهم؛ وأن سكان مخيم جنين هم نازحون من الكرمل وجبال الكرمل في حيفا؛ وأن سكان مخيم جباليا من سمسم وأسدود ويافا واللد ونعليا والمجدل. وجميعها مدن أو قرى تحيط بيافا، أو ما بات يعرف بـ"تل أبيب" العاصمة الاقتصادية والثقافية للكيان. ومعظم سكان المدينة هم من أثرياء اليهود الألمان الذين جاءوا إليها في العام ١٩٣٦، خلال الاحتلال البريطاني. بعد العام ١٩٥٠ انتقل مركز الكيان إلى القدس الغربية المحتلة، وخلال هذه المرحلة ابتدأت هجرة أغنياء وعمال اليهود الروس إلى "تل أبيب"، وتوسّعت لتضم مدينة يافا؛ حيث فرض على عرب يافا؛ والذين بقوا بعد المجزرة التي حلت بهم قبل يومين من إعلان قيام كيان الاحتلال، السكن في غيتوهات منعزلة. هذا الكلام معناه أن هذه المخيمات بأهلها الذين ما يزالون يحملون مفاتيح بيوتهم يشكّلون خطرًا كبيرًا.

انطلاقًا من مبدأ العلاقة المتلازمة بين الحركة الصهيونية اليهودية والصهيونية المسيحية، فكلاهما يؤمنان بإقامة الدولة اليهودية الآمنة، حيث لم يعد خافيًا على أحد أن السبب الرئيس وراء عملية التهجير هو النية الصهيونية والأميركية، على حد سواء. بإعلان يهودية الدولة. وقد ثبت مع قدوم الرئيس الأميركي جو بايدن "الديمقراطي" إلى السلطة أن الديمقراطيين، وعلى الرغم من إدعائهم دعم إقامة دولة فلسطينية إلى جانب اليهودية، يكذبون. فهذا الكلام لم يصمد أمام دعوة الجزائر، في شهر آذار/ مارس الماضي، من أجل التصويت على عضوية فلسطين الدائمة في مجلس الأمن. الديمقراطيون كما الجمهوريون ليسوا جادين في إقامة دولة فلسطينية مستقلة، والضفّة الغربية هي أهم المناطق التاريخية بحسب ادّعاءات التلمود، وبالتالي يجب تفريغها. وهي مركز تجمع وانطلاق حركات المقاومة الفلسطينية، والتي لا قدرة للصهاينة بالسيطرة عليها، إلا عبر الإبادة الجماعية فيها. وهنا علينا أن نتذكر أن الضفّة الغربية بالنسبة إلى اليهودية بالذات هي التي يقوم عليها أساس الكيان.

قامت مملكتا يهودا والسامرة في الضفّة الغربية، وليس في القدس أو أي مكان آخر في فلسطين. وتاليًا؛ الضفّة تمثل- بحسب ادّعاءاتهم- أساس أرض الميعاد. ويبدو أن ما يقوم به الكيان في الضفّة يقع ضمن إطار عملية استباقية، يحاول فيها حصار أي انتفاضة حقيقية قد تبدأ في الضفّة من جديد. وما يقلق ويزيد تأزم الأوضاع في الضفّة الغربية هو حجم تسليح المستوطنين المستعمرين المتدينين، والذين لا يتوانون عن قتل الفلسطينيين في البيوت وفي الشوارع وتحت حماية جيشهم، بهدف نشر الرعب والقلق، ليفقد الفلسطينيون الأمان. ولكن اليوم ليس العام ١٩٤٨، يعي الشعب الفلسطيني ما يحدث، وهو مستعد لتلقي قصف الطائرات بجسده العاري على أن يغادر فلسطين أو المخيمات تحديدًا.

منذ بضع سنوات؛ بدأ الاحتلال في إخلاء المنطقة ما بين الخليل وطولكرم من خلال التأسيس لمستوطنات "مؤقتة"، تتألف من بيوت مسبقة الصنع، وذلك بحسب ما قالته سيدة فلسطينية، في حديث خاص لموقع "العهد"، والتي حضرت إلى بيروت من رام الله لحضور مؤتمر في العام ٢٠٢٢. ما قالته كان خطيرًا وينذر بمخطّط صهيوني يهدف إلى احتلال المناطق الزراعية ما بين المدينتين، ومنع وصول الفلسطينيين إلى ما تبقى من كرومهم. وهذا التشريع الصهيوني لاحتلال مناطق الضفّة، وخاصة تلك التي تقع تحت إدارة السلطة الفلسطينية، وصل أوجه في العام ٢٠٢٢ بعد وصول بنيامين نتنياهو إلى السلطة من جديد. والتهديد بضم الضفّة الغربية ليس بالأمر الجديد، ففي ٢٣ أيار/ مايو ٢٠٢٠ خرج المتظاهرون في أريحا في أكبر تظاهرة سلمية حشدت لها السلطة الفلسطينية يومها الدبلوماسية الدولية ضدّ قرار ضم غور الأردن ضمن خطة دونالد ترامب.

إن السياسة الأميركية لدعم الاستيطان ليست جديدة، ولكن الكيان اليوم يستغل انشغال العالم بما يحدث في غزّة لينفذ مخطّطه في الضفّة الغربية. وهو ما يجب التنبه إليه بشكل كبير في هذه اللحظة التاريخية. ويجب اتّخاذ المزيد من الخطوات لحماية الضفّة الغربية وتحصينها، إضافة إلى حثّ الشباب الأردني من أجل الضغط على حكومته بالدفع نحو تهديد الكيان بإغلاق المعبر الوحيد المتبقي لمرور البضائع إليه، ووقف استخدام الأردن جدارًا لحماية خلفية له. وإدخال المزيد من الدول العربية ضمن الخيار المقاوم، وخاصة تلك التي باتت مستهدفة بعملية التهجير، وهي مصر والأردن.

كما يمكن بدء حملات إعلامية واسعة حول دور المستعمرين الصهاينة المسلحين، والذين يهدّدون الفلسطينيين أصحاب الأرض في بيوتهم، ويقومون بحرق أشجار الزيتون والمزروعات وسرقة الماشية يوميًا، على وسائل التواصل الاجتماعي بجميع لغات العالم، واستقطاب المزيد من اليهود المناوئين للكيان من أجل توضيح ما يحدث في الضفّة من عمليات تطهير عرقي، كما يجرى تمامًا في غزّة.

ما يقوم به الكيان في الضفّة يقع ضمن إطار عملية استباقية ويحاول فيها حصار أية انتفاضة حقيقية قد تبدأ في الضفّة من جديد

جحيم الكيان بين «شمالَين»

شارل أبي نادر
كاتب ومحلل سياسي

ممّا لا شك فيه أن قادة العدوّ اليوم يعيشون وضعًا لا يُحسدون عليه، ففي الوقت الذي تتزايد فيه بشكل كبير وغير مسبوق أو غير منتظر إصابات جنودهم وضباطهم في غزّة أو على جبهتهم الشمالية مع لبنان، يضيق الخناق دوليًا على رقاب مسؤوليهم رويدًا رويدًا، وعلى خلفية جرائمهم ومجازرهم التي تحمل بكلّ ما للكلمة من معنى توصيف الإبادة الجماعية. وبسبب موقفهم الفاقد لكل معايير الأخلاق والقانون في هذه الحرب المجنونة التي يشنونها على الشعب الفلسطيني في غزّة، أصبحوا ينتظرون بين لحظة وأخرى اتهامًا رسميًا دوليًا بتصنيفهم مجرمي حرب، وباستدعائهم والتحقيق معهم وتوقيفهم.

طبعًا، لم يكن واردًا بتاتًا أن يصل قادة العدوّ إلى مجرد التفكير بهذا القرار المنتظر، مع أنه من شبه المستحيل أن يُوقفوا لاحقًا أو يحاكموا، حيث ما يزالون يحظون بكلّ أشكال الرعاية والحماية الأميركية. ولكن يبقى الأخطر والأكثر حساسية، وربما سيكون الأكثر تأثيرًا على إمكان استمرار الكيان في احتلاله لفلسطين، هو هذا الفشل الذي يظهره جيش العدوّ اليوم في معاركه بين شمال غزّة وشمال فلسطين، والتخبط الذي يعيشه هذا الجيش في خططه غير الواضحة وفي استراتيجياته الغامضة، حيث مناوراته المتناقضة والعقيمة بين الأهداف التي وضعها وبين عملياته القتالية التي يقوم بها لتحقيق هذه الأهداف. وهذا ما يمكن تبينه من خلال الإضاءة على مستوى المواجهة الحالية في غزّة - في مناطق المواجهة كلها في القطاع - وفي شمال فلسطين المحتلة.

في غزّة

في الوقت الذي يُطلق فيه العدوّ معركة رفح، والتي يُجمع أغلب المتابعين داخل الكيان أو خارجه، أنها ستكون صعبة والنجاح فيها سيكون مستحيلًا، يفتح معركة أصعب في شمال القطاع وتحديدًا في جباليا المخيم والبلد وفي حيّ الزيتون. والنتيجة حتّى الآن، يسقط له قتلى ومصابين بالعشرات نتيجة مروحة واسعة من كمائن المقاومة المركّبة والمدروسة بعناية والقاتلة، وبدل أن يكون عليه مواجهة المستنقع الذي أدخل وحداته فيه في رفح ولو بصعوبة، يُدخله في الوقت نفسه شمال القطاع في مستنقع ثانٍ أصعب وأخطر، وفي مناطق طالما كانت عصيّة على وحداته، وشكّلت مقبرة لجنوده خلال أغلب اعتداءاته تاريخيًا على غزّة.

في شمال فلسطين

أيضًا وأيضًا، تخبّط وضياع في مواجهة حزب الله، وفي الوقت الذي لم يكن أحد يتوقع أنه سوف يخسر الخطوط الرئيسة لمناورته الهجومية التقليدية، والتي كانت ذراعها الأساسية القوّة الجوية، هو اليوم يخسر أيضًا مناورته الدفاعية بفضل المستوى المتقدم جدًّا الذي أدخله حزب الله في هذه المواجهة، ضدّ وحدات العدو في شمال فلسطين المحتلة.

ومن خلال مناورة مدروسة بناها حزب الله على ثلاثة مداميك رئيسة، توزعت بين الاستعلام الدقيق وبين التكتيك المركّب وبين القدرات النوعية الجديدة، وأهمها المسيّرات الانقضاضية والصواريخ الموجّهة بكاميرا، يعيش جيش العدوّ هواجس استهدافات المقاومة الإسلامية في لبنان لمواقعه ولجنوده، والتي أصبحت بمثابة القدر المحتوم الذي لا مفر منه.

وهكذا، بين فقدان "إسرائيل" تباعًا وبطريقة تدريجية ما كانت تحظى به دوليًا من عطف ورعاية، وبين فقدانها أيضًا، ورويدًا رويدًا، الذراع القوي الذي شكّل درع الحماية لاحتلالها، وهو قوة الجيش الذي كان يوصف بالذي لا يقهر، هي اليوم تعيش أرق الاندثار الذي أصبح حتميًا. ويبقى الدليل الأسطع على ذلك هو الإحصائيات الصادمة لأرقام عن نسبة الصهاينة الذين فقدوا أي أمل بإمكان استمرار كيان الإحتلال أو على الأقل، لأرقام ونسب من أصبح يرى عودته للعيش في غلاف غزّة أو في شمال فلسطين المحتلة مستحيلة.

العدو يخسر مناورته الدفاعية بفضل المستوى المتقدم جدًّا الذي أدخله حزب الله في المواجهة، ضدّ وحدات العدو شمال فلسطين المحتلة

التحليل الإخباري

حزب الله.. عمليات نوعية ومفاجآت والصورة تتكلم

خليل نصر الله
كاتب ومحلل سياسي

طوال أعوام المواجهة، رافقت المفاجآت أعمال المقاومة في جنوب لبنان. أعدّ حزب الله نفسه جيّدًا لأي حرب قد تقع. قبل السابع من تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٢٣، كانت المفاجآت عنصرًا أساسيًا في خطابات كثيرة للأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصر الله، والكشف عن بعضها كان جزءًا من المواجهة نفسها لتعزيز قوة الردع وحماية لبنان. في الثامن من تشرين الأول/ أكتوبر، فتحت المقاومة الإسلامية في لبنان جبهة الجنوب إسنادًا للمقاومة الفلسطينية، بعد إعلان الحرب. وقرابة ثمانية أشهر، تدير المقاومة عملها بما يخدم مسارين، إسناد غزّة وحماية لبنان.

وقد أفرجت المقاومة عن بعض المفاجآت المتعلّقة بنوعية بعض الأسلحة التي تمتلكها، من صواريخ الماس ومسيّرات انقضاضية وأمور أخرى، وكذلك القدرة على الجمع المعلوماتي المتنوع لديها. وفي يوم الأربعاء ١٥ أيار/مايو، نفذت المقاومة عملية نوعية غرب طبريا، بواسطة مسيّرتين انقضاضيتين استهدفتا منطادًا متطورًا مرتبطًا بتحديد الأهداف الجوية، هي عملية قاسية بالنسبة إلى "تل أبيب"، والتي ردّ جيشها بغارات على شرق لبنان، فردّت عليها المقاومة لاحقًا.

لكن المفاجأة النوعية تمثلت بما بثته المقاومة من مشاهد لعملية الرصد، وتقصدت القول إنها سبقت العملية، وهو ما يبيّن قدرة طائرات الاستطلاع على مواصلة عملها في ظلّ التأهب الإسرائيلي واشتعال الجبهة. وهنا يذكر أنه في ١٨ شباط/فبراير ٢٠٢٢ أطلقت المقاومة طائرة استطلاع اسمها "حسان" باتّجاه الأراضي المحتلة؛ حيث أجرت عملية مسح في ظلّ مناورات إلكترونية لجيش الاحتلال، والذي لم يتمكّن من إسقاطها.

تقصّدت المقاومة بثّ مشهد يعطي صورة عن القدرة التي تمتلكها وتربك جيش الاحتلال، إذ عليه العمل على قاعدة أنه مكشوف وما يقوم به هو تحت أعين حزب الله، وهو أمر يفسّر القدرة على تنفيذ المقاومة عمليات نوعية؛ ومنها عملية طبريا.

في اليوم التالي، تنفذ المقاومة هجومًا بمسيّرة هجومية، أطلقت صاروخين باتّجاه آلية يتجمّعُ جنود حولها قبل أن تضرب الهدف المحدّد لها، فأقر العدو بالهجوم لكنّه أنكر إطلاق المسيّرة صاروخين. مساءً، أخرج الإعلام الحربي من جعبته ما يعدّ قنبلة، حيث أظهر مقطعًا مصورًا بواسطة كاميرا ثبتت على ظهر المسيّرة الهجومية وبيّن لحظة إطلاق الصاروخين نحو الهدف، ثمّ إكمال المسيّرة طريقها نحو هدفها المحدّد. وهو المشهد الذي ينسف مجدّدًا أي مصداقية مزعومة للعدو، ويبيّن قدرة نوعية تمتلكها المقاومة تتعدى مسألة تصويب مسيّرة نحو هدف.

عامل الصورة بحد ذاته، يعدّ سلاحًا نوعيًا، فحزب الله لم ينصب الكاميرات التوثيقية عند الحدود فقط، بل بات ينصبها على ظهر المسيّرات، وهو ما يفسر ربما ما قاله السيد نصر الله يومًا عن أنه في أي حرب مقبلة قد يشاهد العالم بثًّا مباشرًا لتدمير الفرق الإسرائيلية. إن إحدى المفاجآت تكمن هنا، في الكاميرا، رفيقة عمليات حزب الله منذ زمن بعيد، وهي ما تسهم اليوم برفع معنويات جمهور المقاومة، فيما تزرع الإحباط عند الطرف الآخر.

إذًا، خلال اليومين الماضيين كنا أمام أمرين جديدين، استطلاع موثق وحديث لهدف غرب طبريا والنجاح في ضربه، ومسيّرة تحمل صاروخين وترافقها كاميرا تبث مباشرة إلى مكان ما. وفي الأمرين مفاجأة، وتبقى جعبة المقاومة مليئة، وكلّ في حينه وزمانه.